في ندوة الإنسانيات

الدكتور الفيل يقدم صوراً من الفكاهة في الأدب العربي

في الحلقة الثانية من برنامج الندوات العلمية لكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية والتي عقدت اوائل الشهر الحالي كان الحاضرون على موعد مع الفكاهة الأدبية حيث قدم الدكتور توفيق علي الفيل استاذ البلاغة بقسم اللغة العربية بحثا بعنوان «صور من الفكاهة في الأدب العربي» جمع فيه بين انماط الفكاهة وأشكالها المختلفة في الادب العربي وبين عرض نماذج لتلك الانماط والاشكال.

وعرف المحاضر الفكاهة وبين الاصل اللغوي الذي جاءت منه، وذكر ان إطلاقها على ما يتلذذ به من الكلام إنما هو تعبير مجازي. ثم اخذ في تناول الاسباب التي دعته الى معالجة هذاالموضوع. وكان من اهم ما ذكره في هذا الصدد.

ان جوانب الثقافة الإسلامية المختلفة نالت حظها من الدراسة والبحث. وعني بها الباحثون، أما هذا الجانب فلم يحظ بما يستحق من الدراسة على الرغم من اهميته.

وأضاف أن معالجة مثل هذاالموضوع يكشف عن جانب حضاري له أهميته. فالشعوب لا تعنى بمثل ذلك إلا حين تنال حظها من الحضارة، وذلك ما تحقق للامة الاسلامية في العصر العباسي.

أ.د. توفيق الفيل

و معالجة مثل هذاالموضوع لا تعد من قبيل الترف الفكري، أو ضياع الجهد في أمر لا يمثل اهمية،بل العكس هو الصحيح . إذ ان الفكاهة في الأدب العربي قامت بدور في تجسيد العيوب الاجتماعية المختلفة. والتنبيه على ما قد يقع من الخلل في انماط السلوك.

وتحدث المحاضر عن الصلة التي تربط بين أدب الفكاهة، وما عرف من فن الملهاة، وأشار إلى ان فن الملهاة كان تطورا عن فن الهجاء عند اليونانيين القدماء..

وانتقل الباحث بعد ذلك الى بيان أشكال الفكاهة، والمقومات الفنية التي لابد من توفرها لتقوم بدورها، وتؤدي وظيفتها. وفي هذا الجانب ذكر انها قد تاتي نتيجة للمفارقة بين الواقع والمتخيل.. او بعبارة اخرى لوجود تباين بين امرين. كأن نتصور في شخص الذكاء وتكتشف غير ذلك أو عكسه.

كما تاتي الفكاهة عن طريق ما يعرف بالتصحيف اللغوي، أو الكناية، او التورية.

ثم قدم الباحث صورا من الفكاهة في القديم والحديث، واحتلت قصص البخلاء حيزا كبيرا من الموضوع. وبين كيف اهتم الباحث بقصص البخلاء وحكاياتهم. وكيف كان الجاحظ يجسد عيبا من العيوب التي حاول العرب الا يوسموا به، أو يعرف عنهم. ومما ذكره من ذلك قصة الرفقاء الذين اتفقوا على شراء لحم. ولم يكن اتفاقهم من قبيل التعاون أو الرغبة في المشاركة. ولكن ما استقر في نفوسهم من البخل. فقد كانوا إذا اشتروا اللحم قسموه بينهم. واخذ كل منهم نصيبه . ووضعه في خيط وعلمه، وعند نضج اللحم ياخذ كل منهم خيطه. ويستل منه قطعة قطعة. فإذا فرغوا جمعوا الخيوط لاستعمالها في المرة التالية وعللوا هذا بانها شربت من المرق والتوابل.

ويحظى البخلاء بنصيب في الشعرلا في النثر فقط .

ثم ينتقل الباحث من البخلاء وحكايات حرصهم الى ما عرف باخبار الحمقى والمغفلين. وقد عرض نماذج اظهر من خلالها السخرية من أولئك الذين يفتون في القضايا من غير علم والذين تبوأوا مناصب ليسوا أهلا لها. ومما رواه ابن الجوزي في ذلك، ان احدهم صلى بالناس المغرب فاطال القيام. ثم سجد في آخر الصلاة للسهو، ولم يكن قد سها. فقيل له احتملنا لك الإطالة في الوقوف، فما جوابك عن السهو، ولم يقع منك سهو.

فقال: تذكرت أني صليت بكم من غير وضوء، فسجدت للسهو.

ويقدم الباحث ما يعرف بالدعابة بين الاخوان، وعلى الرغم من ان مثل هذا النوع من الشعر لا يقصد به غير الاضحاك والسخرية، فان فيه صورا فنية تدخل السرور على النفس.

وقد أثارت المحاضرة نقاشاً واسعا حول أصول الفكاهة وانماطها والمناهج العلمية المطلوبة لدراستها.